رقمنة
مجلة الدراسات الإعلامية والاتصالية

المجلد 03 | العدد 02
جوان 2023
الصفحات 232 - 240

ردمد | ISSN-2773-4285
EISSN | 2830-8417
الإيداع القانوني | 07/2021
العنوان | 11، طريق دودو مختار، بن عكنون، الجزائر العاصمة.
الفاكس | 50 88 23 (023)
الهاتف | 75 29 62 (0561)

تاريخ الاستلام 2022/12/05
تاريخ القبول 2022/12/14
تاريخ النشر 2023/06/27

المؤلف المرسل |
د.حسيني وليد
كلية علوم الإعلام والإتصال - جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
Hocini.walid@univ-alger3.dz

الحضور الهوياتي المشرعن للفاعل المؤسساتي وعائق الهابيتوس الافتراضي
قراءة مقارباتية: في الانبناء

The legalizing identity presence of the institutional actor and the default habitus barrier
Approaches reading: in construction

د.حسيني وليد
جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
Hocini.walid@univ-alger3.dz

د.يونس بصاص
جامعة الجزائر 3 (الجزائر)
Bessas.younes@univ-alger3.dz

ملخص

تتمأسس أدوار الفاعل المؤسساتي كشريك إجتماعي حقيقي بناءً على ممارسات تبجل خدمة الآخر كأولوية تكفلها المصلحة العامة، عبر الاستثمار في الرأس المال الاجتماعي العلاقاتي ببنية تجديد وظيفية أنساق وقائعه الاجتماعية الثقافية السياسية الاجتماعية نحو الهدف، بأنماط وتصورات باعثة على حضور هوياتي ذهني تنشئ إستعداد(الهابيتوس) سلوك الآخر توجها وإدراكا، هذه الصور "سلطوية البنية" الماثلة في المخيال الاجتماعي العام، تواجه نوعا من الانفلات بإيعاز شبكي "افتراضي" مفتوح يوازي قوة الفاعل المؤسساتي المؤطرة والتي ذللها بعائق هابيتوسي أفقد نمطية توليد الاستعدادات على النحو" الواقعي"، مما يستدعي تفكيك علاقاتي عبر آلية التفاوض بالمناورة (المصداقية-والواقعية) داخل بنية العلاقات الشبكية والانخراط في الإنتاج بشكل فعال من خلال منظومة الادراك، والتصورات وأنماط التفكير كقواعد مولدة للممارسات، وهذا من خلال المعرفة الجادة بنظام الحقل وثقافته ومعايير الممارسة فيه لتحقيق نوع من الاعتراف.

كلمات مفتاحية: الهابيتوس، البناء ، الفاعل المؤسساتي، الشبكة ، الهوية.

Abstract

This aims study focuses to develope the roles of the "institutional actor" as a true social partner,on the basis of practices that honor the service of the other as a priority guaranteed by the general interest, by investing in relational social capital with a structure functional which coordinates its social, cultural activities, social, political and social realities towards the goal, with models and perceptions conducive to the presence of my mental identities which create a preparation (habitus). The behavior of the other is orientation and awareness. These images of "authoritarian structure" present in the general social imagination, in the face of a kind of relaxation with a retinal impulse that feeds the "virtual" open parallel to the power of the framed institutional actor, who has tamed it with a habitual obstacle that loses the stereotypical generation of predispositions in a "realistic" manner, which necessitates the dismantling of my relationships through the negotiation mechanism by maneuvering (credibility and realism) within the structure of networked relations and engaging in production effectively through the system of perception, perceptions and patterns of thinking as rules that generate practices, and this is through serious knowledge of the field system, its culture and standards of practice in it to achieve a kind of Identity acceptance.

Keywords : habitus, construction, identity, institutional actor, network.

1. مقدمة

إن النظرة البنيوية لطبيعة مفهوم " الهوية" و اشتقاقاته الدلالية تجبر إنصافا العودة إلى جذر التحاقل المعرفي الذي يروم بنائيته العابرة للتخصصات: الفلسفية والسوسيولوجية والاتصالية والتي أبانت عن تعقيدها الممارستي أثناء التورية الذاتية، بصفات وخصائص وسمات تشير إلى الوعي بماهية الفاعل (فرد-جماعة-مؤسسة) الذي تنبني أدواره الاجتماعية والثقافية والسياسية لدى الآخر بنوع من الاعتراف الذي يحدد له المكانة والتميز كرأس مال اجتماعي عام باعث على الاستمرارية التي يؤطرها نسق بنائي وظيفي.

ولعل من الهويات التي تخضع لتأطير جماعي مشترك تلك التي يتميز بها الفاعل المؤسساتي، ببناء تعالقي ورمزية تفاعلية يتكئ فيها على السلطة أحيانا أخرى تحت مسمى" المصلحة العامة " لفرض حضوره عبر تجارب وممارسات تتمظهر في حقول(ثقافية، اقتصادية، اجتماعية، سياسية) سياقية المكان و بتوثيق تاريخي يحتويه المخيال الإجتماعي العام عبر ألية الاستبطان الذي يستحضره الأخر بنوع من الوعي الموجه لسلوكه داخل نطاق محلي تغيب فيه سمة المفاوضة الجادة حول قيمة وطبيعة المصلحة والرضا الذي ينمي فيه الاعتراف والقبول الإجتماعي .

اليوم وأمام راهن شبكي افتراضي معزز أعاد النظر في تشكيل بنية العلاقات ذات البنية المحلية، بمرجعية تفسر الواقع اليومي المؤطر، والانغلاق المتعمد، والنطاق المحدد، والأمن الإنساني مقابل حاجاته الأساسية بفجوة بائنة مست الوعي لدى الآخر، محدثا انفلاتا سلوكيا أقل ما يقال عليه "انسحاب " من الواقع إلى مستوى آخر تؤطره التقانة كقوة موازية للفاعل المؤسساتي السلطوي الذي يحاول توطيد العلاقات وتوثيق صلاتها وسيقنة ظروفها بمنطق غاب فيه نسق الفعل الملموس(Michel Crozier) كناظم ذهني يراعي خصوصية التنظيم والمخيال اليومي المترهل، هذا الأخير الذي يستدعي فاعل يفاوض بثنائي المناورة (المصداقية -الواقعية) كنوع من التفكيك (Destructuration) لصلات وقائع الفعل الاجتماعي الغير منتج للمعنى، هذه الألية المستمرة تضمن إعادة تهيكل الفاعل المؤسساتي عبر علاقات أقل تعاونا معه لكن تدرج لنوع من الاستقرار على هامش أن الشبكة ضمنت حرية التحرك للآخرين، وعلى هذا النحو تتولد استعدادات ذهنية هابيتوسية (بيار بورديو) يحييها الوعي الذاتي الذي يدرك مساعي ملموسة مؤطرة لسلوكه كالتي نراها في الواقع اليومي، تضمن إعادة بناء(Restructuration) أدوار الفاعل المؤسساتي عبر صور باعثة على هويته الوظيفية(الكامنة /الظاهرة) التي يعرفه بها الاخر وهي الضامن على متانة العلاقة.

أمام موقفنا الاشكالياتي يمكن أن نترجمه إلى هذه المعادلة الرئيسية :

نعبر عن الحضور الهوياتي للفاعل المؤسساتي على المستوى الواقعي بالعناصر التالية:

الفاعل المؤسساتي الواقعي (X)

X= مؤسسات وهيئات وتنظيمات ووكالات.

X1 = تمثلات الحضور الهوياتي(مواقف، تصريحات، تقديم خدمات، سلع معلومات مقننة ،أمن، رعاية، إدارة أزمة، الواجب/الحق، قيم سياسية، النظام العام، الأخلاق، التراث الثقافي...الخ)+ وسائل الإعلام موجهة + إحتكام بنائي وظيفي رمزي قهري + استمالات إقناعية موجهة البناء+ تنويم ذات الأفراد والجماعات(خدمة بخدمة) + وعي مصلحي+ تحكم زمكاني + إقحام السلطة والنفوذ+ أحادية المعلومة + غياب المساءلة الفعالة + تفاعل جماهيري متحكم فيه لإضفاء الشرعية + رقابة متحكم فيها+ حرية مغلوقة + تشجيع الجمعويات + مركزية إنتاج الصلات والروابط الاجتماعية + تعزيز الانتماء والقومية = عقلية موجهة للراي العام .

الهابيتوس (Z1)= إستعداد ذهني ميلي إتجاهي يتحكم في التفكير والسلوك يتماشى واهداف السلطة الفعلية

F(x)الحضور الهوياتي للفاعل المؤسساتي عبر المستوى: **f(x) =(X+X1)(Z1)**

نعبر عن الحضور الهوياتي للفاعل المؤسساتي على المستوى االفتراضي بالعناصر التالية :

الفاعل المؤسساتي الافتراضي (Y)

Y = مؤسسات وهيئات وتنظيمات ووكالات

Y1 = تمثلات الحضور الهوياتي(مواقف، تصريحات، تقديم خدمات،سلع معلومات مقننة ،أمن، رعاية، إدارة أزمة، الواجب/الحق، قيم سياسية، النظام العام، الاخلاق،التراث الثقافي...الخ) + شبكة اتصالية مفتوحة + إحتكام مبني على معطى الواقع اليومي+ استمالات إقناعية ذاتية البناء+ ذات الأفراد والجماعات فاعلة + وعي ناضج متحرر+ غياب المعنى الزمكاني + إنفلات السلطة الالزامية + سيولة معلوماتية متعددة الاتجاهات + مساءلة مستمر للمعلومة + تأمل تفسيري تحليلي+ إنسحاب جماهيري غير متحكم فيه +رقابة غير متحكم فيها + حرية مفتوحة + الفردانية+ التعددية الثقافية +اللامركزية في الانتاج +إنشطار إنتمائي قومي= عقلية متشظية للراي العام.

الهابيتوس (Z2)= إستعداد ذهني ميلي إتجاهي يتحكم في التفكير والسلوك يتماشى وأهداف التقانة الشبكية

F(x) حضور الهوبياتي للفاعل المؤسساتي عبر الواقع الافتراضي: **f(x)= (Y+Y1)(Z2)**

العائق الهابيتوسي الافتراضي (W) = تعطل مكانيزمي ذهني يؤطر الممارسة كسلوك عام، يظهر هذا العائق نتيجة إعتماد نفس الخصائص والسمات المؤطرة للاستعدادات الذهنية لسلوك الأفراد **(Z)** أثناء انتقال ممارسة الفاعل المؤسساتي لهويته من المستوى الواقعي إلى المستوى الافتراضي،هذه الاستعدادات يتعذر عليها النمذجة لخصوصيتها البيئية الخاصة بكل مستوى. وهنا نطرح التساؤل العام لموقفنا الاشكالياتي:

ما هي طبيعة البنيوية كعائق هابيتوسي أمام الحضور الهوياتي للفاعل المؤسساتي المشرعن بين المستوى الو اقعي والافتراضي؟

الاجابة عن هذا الطرح يحيلنا إلى العناصر التالية:

- المركب المفاهيمي للهوية
- الممارسة المؤسساتية للهوية
- الهوية و الإنبناء الهابيتوسي – التشكل والتفكك
- الهابيتوس الإفتراضي كعائق للممارسة الهوياتية

2. المركب المفاهيمي للهوية :

في بداية الأمر لابد من الاشارة إلى ان سؤال الهوية انشغل مفكروها منذ بدأ التفكير بالذات والجوهر والماهية والكينونة، لذا يقع الخلط بين فلسفة الهوية و سوسيولوجيا الهوية، وبقدر ما انشغل الفلاسفة بهذا السؤال كذلك السوسيولوجيين والانثربولوجيين ودارسي الحقل الإتصالي، لطالما رددوا ان الثقافة هي طريقة في معرفة الاشياء وفي إدراكها أما الهوية لا تدرك إلا من خلال المعرفة بإنتاج صور تسبغ المعنى على الاشياء والظواهر وتؤسس معايير لفهمها من خلال ترتيب العلاقة بين عناصرها بحيث تتضح الغاية منها.

نجد تعريف "الجرجاني" للهوية: ان يكون الشخص هو، وليس له مقابل مما يدل على ثبات الهوية. واما المعاجم والقواميس فتشير اليها بمصطلح Identité،Identity بنفس المعنى واحيانا في مصطلح "الأنية" المشتق من "الانا" Ipseite و Ipseity بنفس المعنى، يستعمله الفرابي في كتابه" الحروف" في مقابل اللفظ الغربي Altérité اوAlterity ويعني الغيرية. وهو على نقيض الهوية(حسن حنفي،2012،ص17) . أما هانس بيتر مارتن وهارولد شومان يرون أن الهوية: " هي كل ما يشخص الذات ويميزها، فالهوية في الأساس تعني التفرد، ، والهوية ليست منظومة جاهزة ونهائية، وإنما هي مشروع مفتوح على المستقبل، أي أنها مشروع متشابك مع الواقع والتاريخ لذلك فإن الوظيفة التلقائية للهوية هي حماية الذات الفردية الجماعية من عوامل التعرية والذوبان (Bernardo M . Ferdman,1988,p355-356). كونها منظومة فكرية لها تنظيمها الذاتي الذي يتسم بصفة توليدية تجعله قادرا على إعادة إنتاجها وحمايتها ويشير إدغار موران إلى انها كل "منظومة فكرية هي مغلقة ومفتوحة بمعنى مغلقة تحمي نفسها ومفتوحة تتغذى من التأكيدات لصالحها (عبد الغاني عماد،2001،ص25).

وعلى هذا النحو ، الهويات(فرد،جماعة،مؤسسة) شأنها الحقيقة والواقع، تبنى من خلال خطاب يوريها للأخر قائم على علاقات وشبكات تحدد خصائص وسمات ما، تعبر عنها الممارسات باستخدام مواد تقدمها وتمتلكها، هيئات او تكوينات اجتماعية وثقافية وسياسية مميزة، وبذلك تكون الهوية الإنسانية سياقية ومتشظية وإنتقالية...الخ(دارن بارني،2004،ص24)، هذا التفاعل هو شبيه الوظيفة التي تحدد هوية الفرد على حد نوربرت :"...أنه ليس هناك هوية لـ الأنا دون هوية لـ نحن على إعتبار لا يمكن الفصل بين الفرد والمجتمع عبر رابط العلاقة تأثير وتأثر بحيث المجتمع يمارس تأثيره في تكوين شخصية الفرد ولذلك يقترح عبارة هوية نحن- أنا (عبد الغاني عماد،ص49). وهذا الذي يشير اليه لقاموس Collins باعتبارها "الخصائص الفردية التي يتم بها التعرف على الشخص أو الشيئ"

اليوم المفهوم الأخر للهوية لم تبقى تعبر عن ما يفعلونه، وإنما بناءا على ما هم عليه أي مجموعة الأدوار التي تحدد لك المكانة الفعلية، هذه الاخيرة التي تعزى إلى الواقع الفعلي في ظل املاءات السياق الاتصالي الجديد ، تبنى وفق سيرورة الدمج في العلاقات الإجتماعية تسمح بالوصف والتذكر والارتباط كونها خليط متعدد من العلاقات والخيارات والأفعال التي يؤتى بها في سياقات متداخلة ومتوازية(دارن بارني،ص162)، سواء كائن فرد او مؤسسة(باعتبارها كائن إجتماعي)

3. الممارسة المؤسساتية للهوية:

يقول بورديو بيار "...من يملك السلطة هو القادر على فرض تعريفة لنفسه وغيره..."

في الحديث عن استراتيجية الهوية كمفتاح تحليلي أن الفاعل الاجتماعي لا يفتقر إلى شيء من هامش المناورة فهو يستخدم مصادره المتعلقة بالهوية على نحو استراتيجي يحتسب فيها نقاط القوة والضعف في ادارة الصراع والمنافسة، وما دام الهوية تشكل رهان في صراع التصنيف الهادفة إلى اعادة الانتاج او إلى قلب علاقات السيطرة فان الهوية تتكون من خلال استراتيجيات الفاعليين عبر صور مختلفة تستحضر بها.

نعتقد مليا أنه من متطلبات الدقة العلمية أمام هذا التداخل المفاهيمي المتنامي والذي لا يمكن فهمه إلا بالعودة إلى نظريات تفسر العلاقة بين الفاعل المؤسساتي ككائن إجتماعي مفتوح يمارس عملياتية أدواره وسياقات البيئة الخارجية التي يستند فيها إلى بنى توافقية تحقق مصالح الجماعة بالتراضي وهو ما تمليه طبيعة الترابط البينوي للبناء الاجتماعي[*] العام.

هذا السلوك الحي الذي يمليه الفاعل المؤسساتي داخل النسق الاجتماعي[*] على ضوء ما عبر عليه بارسونز في وظيفة التكيف أنه مطالب بإنتاج وظائف أداتية وسلوك موجه للخارج تجعله ممكنا(حي)، هذا المكون هو الذي يحدد الفعل الذي بدوره يستخدم للتلاؤم مع الشروط البيئية-الطبيعية- الخارجية (لومان نيكولاس،2010،ص40).

هناك ما هو أهم، أن فهم تعبيرات هوية الفاعل المؤسساتي وتمثلاته التي تلزم الشريك الاخر للتعاون لا تتم الا بالعودة إلى فهم علاقات تبادل سماها بارسونز بالعلاقات المزدوجة على المستويين العام والمحدد ولكل نسق وسائطه في توجيه العلاقات:

- المال في النسق الاقتصادي
- السلطة في النسق السياسي.
- التأثير في النسق الاجتماعي للجماعة.
- الالتزامات القيمية في النسق الثقافي، ونضيف لها الاتصالات .

---

[*] **البناء الإجتماعي:** مكون من الأفراد او الجماعات ،مؤسسات مرتبطة ببعضها من خلال علاقة اعتمادية أو أكثر،تجمعهم اهتمامات مشتركة سواء كانت اقتصادية أو إجتماعية أو سياسية،والفرد داخل هذه الشبكة له قيمة إجتماعية مؤثرا ومتأثرا، طرحت لاول مرة عام 1800م ايميل دركنهام وفردناند تونيس على ان المجتمع كتلة عضوية(خالد غسان،2013،ص64)،أما راد كليف براون يعرفه بانه شبكة من العلاقات الوظيفية بين الوحدات الاجتماعية.

[*] **النسق الاجتماعي:** عبارة عن فاعلين او اكثر يحتل كل منهم مركز أو مكانة يدي فيها دورا، عبر أنماط منظمة للعلاقات وتصف الحقوق والواجبات.

وصفها بارسونز بالاطار المرجعي للفعل الاجتماعي ذو المعنى الذي يجعل أي فاعل من فواعل المجتمع يندمج ويساهم في إستقراره، مؤكدا على ضرورة تحقيق التوازن بين صور الإطار المرجعي وأي اختلال يؤدي إلى خلل عام.

فالفاعل المؤسساتي تتمأسس هويته بناءً على اللقاءات التي تكيفه مع الاخر(النسق الشخصاني) الجماعات، المحكوم بالبعد الاخلاقي-الثقة-الالتزام والذي تجعل من منه مقبول الوظائف بنوع من الاستقرار، دون إكراهات يملي بها ممارساته المشرعنة بغرض فرض رؤية لبنية الادوار والعلاقات الاجتماعية بما فيها علاقات القوة والسلطة، الإدماج والإقصاء، الهيمنة والخضوع والتهميش، وتبرير ذلك كله تحت ترسيم مسمى الحقوق والواجبات مما يتولد هويات مقاومة تتقوقع عادة حول الاسس التي أدت إلى اقصاءها في المجتمع (دارن بارني،ص158)، هذه الممارسات الاجتماعية على ضوء نظرية الأنساق باتت لها تعريفة أخرى أمام الخصوصية الشبكية المعقدة وتسليط الضوء على العلاقات بين الأفراد وبيئاتهم الاجتماعية وطرح اسئلة حول المراقبة، الثقة، الخطر، الحراك...الخ التي تهتم بمواضيع النقاشات العامة، الانتماء، الولاء، الثقافة.

هذا الواقع الاجتماعي المتزايد بوعيه البنائي الوظيفي يحيلنا إلى وجه أخر من العلاقات الراهنية تاريخية الحدث، أعطت لها ضمانات أكثر واقعية خاصة في بعد الاخلاقي بين الأفراد والجماعات والمؤسسات، والدور الذي يمارسه الفاعل المؤسساتي في ربط هذه العلاقة الناقلة لهويته عبر إقحام قوتي التشريع والالزام..

4.الهوية والبناء الهابيتوسي(التشكل- التفكك)

يتأسس المجتمع المعاصر على منظومة شبكية اتصالية البنى، تسهم في إنتاج ثنائية: الواقعي وغير الواقعي، المحسوس والافتراضي، حيث لا وجود لفواصل بين الافتراضي والواقعي، لا لأن الافتراضي في طريقه إلى أن يحل محل الواقع فقط، بل لأنه يعمل على توسيعه وإغنائه ليصل في النهاية إلى تغييره أيضا (إلزا غودار،2019،ص32). ولهذا، فإن العالم الافتراضي هو عالم اجتماعي قائم على التفاعل بين الأفراد والجماعات وحتى المؤسسات.

ويتبنى إلياس نوبرت * مقاربة توفيقية سوسيولوجية بين الفهم والتفسير بين التصور الكلي عند اميل دوركهايم والتصور الفردي عند ماكس فيبر بين الفعل والبنية الاجتماعية عبر عملية الانبناء والهابيتوس لذلك تميزت مقاربته أنها إنبنائية بامتياز بمعنى ان الواقع الاجتماعي يبنى من قبل الأفراد والفاعلين المجتمعيين على ضوء خبرات ماضية مستضمرة او خبرات حاضرة تستمد من الحياة اليومية او تتكون بواسطة الهابيتوس(خبرات)، تتشكل هذه الخبرات على أساس أنها جبريات لا شعورية ولا واعية وعلى اساسها يقوم الأفراد بحسابات وقرارات، تشكل هذه الخبرات هابيتوس مجتمعيا الذي وظفه نوبرت في الثلاثين من القرن الماضي يعني بذلك المعرفة المجتمعية المستضمرة او المخزنة لدى الأفراد بشكل غير واعي تتجذر بفعل الوقت الاسرة – الجماعات-المؤسسات تدل على هوية الفرد.

فممارسة الدور * أثناء الانتقال بين الواقعين تخضع إلى نوع من الاستعدادات المنظمة، أثناء التواجد الافتراضي الذي هو في الأصل حقل اجتماعي مؤثر على عملية التنشئة، كونه هو الاخر يسهم في إنتاج نوع من الاستعدادات التي لها علاقة على نوعية التفكير والفعل(الاختيارات، الاذواق، الظروف...الخ) جراء سيولة معلوماتية تعدل في تشكيل شخصية الفرد و علاقاته التي توجه نحو الاهداف. فنوعية العلاقة بين الفرد والمؤسسة في إطارها الواقعي تفهم على ضوء ممارسة حضورها الاجتماعي بمساءلة تاريخية لإرثها العملياتي (تقديم خدمة، المواقف المعبر عليها، إدارة الأزمة، تجسيد القيم الاجتماعية/الثقافية/الاخلاقية،...الخ) زيادة على التعالقات مع الجماعات الاخرى التي توصف طبيعة العلاقة(فرد- مؤسسة) بتفسيرات وقراءات شارحة غذاها سرعة الوسيط الاتصالي لفاعلية الدور من عدمه، كل هذه السياقات تفرض على الفرد سمات معينة من الاستعدادات مصدرها الأول: المخيال العام الذي يحدد قبوله وتجاوبه ،عطفا على هذا وأثناء الانتقال إلى

---

* **نوبرت إلياس:** سوسيولوجي الماني ولد عام 1897 في بريسلو في المانيا وتوفي 199 بأستردام هولندة من اشهر كتبه/القيم حول سيرورة الحضارة،سيولوجيا التريخ ومجتمع الافراد.

* **الدورالاجتماعي:** حقائق اجتماعية ثابتة وغير متغيرة،فالافراد يتعلمون التوقعات التي تكتنف التوقعات الاجتماعية في ثقافتهم ويؤدونها بالشكل الذي عرفت عليه، فهي تقدم وصفات واضحة لاحتواء سلوك الفرد وتوجيهه(أنتوني غدنز،2005،ص90).

المستوى الافتراضي بذات العلاقة (فرد- مؤسسة) الذي يسعى فيها إلى محاكاة الواقع عبر إيجاد "مساحات لتبادل الافكار والمعلومات وتقديم العديد من الخدمات والأنشطة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها من التسويق والتجارة الإلكترونية، والتعليم، والثقافة الإبداعية والإعلام...الخ " (Manuel Castells,2014,p16)، تكون الممارسة هنا على ضوء أنماط جديدة تبنيها خصوصية الواقع الافتراضي الذي لديه قدرة على صقل شخصية الفرد وسلوكه، هذه الاستطاعة من عدمها متوقفة على قوة الخطاب والحضور الهوياتي الذي تمارسه المؤسسات عبر هذه الافضية والتي تعمل على بناء مجموعة من الاستعدادات الافتراضية (هابيتوس) كنظام يتحكم في الميولات والاتجاهات والتصرفات(مراحل السلوك الانساني) والتي تجعل منه واقع ملموس عن طريق تحديد طرائق الأفراد وتوجيه اختياراتهم.

وعطفا على السابق، ما مصير الارث التاريخي(تاريخ النسق يفسر سيرورة الحركة والتطور)(سعدي وحيدة،2018،ص10) المستبطن في مخيال الأفراد والجماعات حول التجارب اليومية للدور المؤسساتي المنغرسة في الذات نتيجة خبرات- ذكريات- انشطة فردية ومشتركة، في حالة ما وجد الفاعل المؤسساتي نفسه أمام فضاء إفتراضي لاستكمال المهمة التي يتوقف نجاحها على ضبط استعدادات النسق الافتراضي لإدارة هويتها مع اصحاب المصلحة المشتركة ومنافسة علاقات القوة مع العملاء الذين يشاركون هذا الاهتمام (الذي لا يقبل إعادة إنتاجه كما في الواقع المثقل والتي احتفظ بها كسمعة) "وانما عبر راس مال اجتماعي (شبكة العلاقات) الذي يقتضي توفيره عبر هذه الحقول الافتراضية Natalia Levina & Manuel Arriaga) (2014,p'77،، من منطلق أن رأس مال المؤسسة جمهورها الذي يقتضي منها عبر خطابها المسؤول تخليص المخيال العام من التصورات والمعاني المشوهة والتي تعمق الفجوة بين المستويين وهذا الذي نراه اليوم(خاصة المؤسسات العمومية) ، نتيجة التناقض الصائر، الواقع مؤسساتنا امام معضلتين اولهما واقع:

- خطاب هوياتي مؤسساتي معطل الدور الوظيفي عبر الواقع حقيقي.
- خطاب هوياتي مؤسساتي منمذج الدور(شبه واقعي) عبر الواقع الافتراضي.

هذا الأخير الذي يكتفي بدور مختزل، مسروق السياق الحقيقي، سطحي غير قادر على إنتاج المعنى الذي يحول إلى ممارسة اجتماعية وهي اهم سمة للمجتمع الشبكي يخلع تقنيا عيش العمليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ويخلع السلطة والسيطرة عليها التي تتعارض مع حيواة الأفراد في ممارسة قدر من الموضعة على شروط العيش المحلي، هذا التوتر نتيجة قطيعة بين التقانة والهوية المحلية التي تضفي حالة من الاغتراب بوصف كاستلز " صراع بين الشبكة والذات" تبعث عداوات اجتماعية ،حركات إعادة تأسيس السلطة، السيطرة الديمقراطية على الأوضاع (دارني،ص236) . وبالتالي الهابيتوس الافتراضي النشط يستطيع أن يكشف عن وجود هذه الاختلافات في الممارسة لضعف التبيئة المسؤولة عن " إيجاد سمات الاستعداد كمؤشر هابيتوسي[*]"

أمام هذه الممارسات، تلجأ الكثير من المؤسسات كفاعل اجتماعي في الاصل إلى إستغلال هذه الفضاءات لتأكيد حضورها دون أن تنتبه إلى قيمة فرضية أن أفراد هذه الافضية كنظام شبكي ترابطي هم نفسهم عناصر الواقع الفعلي الذي تؤطره مرجعيات تستبني مخياله العام، الذي يتحاقل ما بين ما هو ثقافي – اجتماعي- سياسي- اقتصادي كأنساق تعمل بشكل منظم دون التخلي عن خصوصية حقلها الميكانيزمي والتي ينتج عنها ذهنية عامة مكفولة البناء من مجموع العقليات الموزعة على الحقول سابقة الذكر وفق تعبير بورديو الهابيتوس، هذه العقليات التي تعمل في إطار تضامني تكافلي يؤدي حتما إلى إنتاج ذهنية عامة تتحكم بأنماط التفكير والسلوك والذي تتجذر فيه مشكلة بنية ذهنية عامة (خالد غسان،2015،ص8).

والسؤال المطروح : هل هذه المؤسسات بخطابها الهوياتي الممارس(المبنى) بعقلية إقصائية ضمنية (المعنى) قادرة على الاحتكام إلى ثلاثية باستيد : البناء(قدمه الواقع) وتفكيك البناء واعادة البناء لمنظومات الواقع التي تسعى لتمثيله عبر حضورها الافتراضي لضبط "الممارسة بكل تجلياتها"، او ليفي ستراوس بوجود البنية الاساسية[*] التي يقترب فيها إلى تعبير بورديو "نظرية الحقول" .مفادها ضرورة دراسة التجربة الإنسانية(التحكم في عناصرها) بالعودة إلى حقلها الخاص(الواقعي)،على اعتبار ان

[*] **الهابتوس (Habitus):** يشار إليه بالعادة أو السجية أو الطبع أو السمت الذي يوجه السلوك.

[*] **البنية الاساسية** : وهي المسؤولة عن تلائم المؤسسات السياسية والاجتماعية فتدخل في نظام تعاون اجتماعي،وطريقة تعيينها للحقوق والواجبات وتقسيم الفوائد الناتجة عن التعاون الاجتماعي عبر الزمن (عامر عبد الزيد الوائلي،2015،ص19).

التجربة الانسانية لها خصوصية لا يمكن فهما إلا في إطارها الوليد، لان مقاربة الحقل في شكله الراهني التزامني يحرمنا من ملاحظات تساعدنا على فهم الصورة الحالية.

خلاصة : هذه التجربة التي صناعها أفراد واعون نتاج صلات إجتماعية مادية مملوكة، لا يمكن نمذجها كلية أثناء التواجد الافتراضي وإنما الاستلهام من حقلها الوليد(الواقعي) لفهم بنية العلاقة والتي تساعد الفاعل المؤسساتي على تفكيك صلاتها ذات السمة الواقعية، وإعادة بناء صلات جديدة تتأسس فيها علاقات جديدة.

على ضوء هذا أثناء الانتقال الفرد من مستوى لأخر، يدخل متفاعلا (مؤثرا ومتاثرا) وفق مهارات مكتسبة من الوضع الإجتماعي والثقافي تعطيه صبغة التحركي الميكانيزمي الالي(الهابيتوس)، هذا النظام هو الذي يساعده على الاستجابة والتاقلم والتعرف والتغلب على هذه الظروف عن طريق ما سماه"Vygotsky" عمليتي إستبطان وإستظهار،حيث يستطيع الفرد إستبطان تجارب الماضي إستبطانا فعالا يمكنه من الادراك والتفكير، هذه البنية الهابيتوسية المؤطرة للانماط والتصورات والسلوكات هي التي تقوم بتنظيم أشكال من الممارسات والتمثلات (خالد غسان،ص9).ضمن أفق عام تكفله النزعة المحركة للوظائف والعمليات الاساسية حول الشبكات على حد تعبير مانويل كاستلز (دارن بارني،ص10). وتعتمد عمليات تطويع هذه الشبكات على الإوضاع المادية والسياقات التاريخية التي إنوجدت فيها، التي قد يقف البعض في مواجهة شروط ذاتها التي انبثقت منها هذه الشبكات.

فالحاصل اليوم، أن هوية الفاعل المؤسساتي المشرعن يعاني الإزاحة على مستوى فضاءات حاول تطويعها تتمة للواقع الذي سعى لترتيب اولوياته خدمة لمصالح تحكمت في إستعداداتها والتي أطرت الجماهير نحو وجهة غذت الولاء والقبول، هذا الانهيار الشبكي جراء العولمة الاقتصادية وخصوصية التقانة التي لم تسعفه بمنح استعداداتها للافراد كمناصرين تشرعن بهم فاعلية الدور الذي يعاني الفاعلية وإنعدام المعنى الذي أفرغ محتواه الاقصاء والتكميم وسوء المعاملة .

هذا الخطاب الهوياتي الممارس واقعيا وبمساءلة ماركسية (المادية-الجدلية) لانماط العيش وطرق العمل والتنظيم تتحدد كلها على ضوء طرق وأساليب، أي ان هيمنة الفاعل المؤسساتي على أدوات السيطرة لزيادة نفوذ شرعيته قصد فرض هويته وإعادة إنتاج شروطها تبعا لمصالحه وموقعه كعناصر محددة للوعي الاجتماعي لدى الاخر والتي بدورها تنتج أنواع أخرى من الممارسة الاجتماعية هذه الاخيرة تعمل كمحدد إجتماعي لجميع مشتقات الوعي(عبد الغاني عماد،ص33) .(خاصية من الاستعداد الذهني لتوجيه الادراك(الهابيتوسي)

أ. القطيعة والتوتر...بين المستويين

يمكننا أن نذهب بهذه النظرة الباحثة عن إمكانية الحضور بالفاعل المؤسساتي بين مستويين أفضى كل منهما إلى نسقين مختلفين(مبنى ومعنى) وسع فجوة التحكم والإدارة في عناصر كل منهما تعريفة التقانة. إلى التفكير إستلهاما من فكرة قال بها رومان رولان Romain Rolland وأنطونيو غرامشيAntonio Gramsci في ضرورة الجمع بين تشاؤم مثقف وتفاءل أصحاب الارادة(نعوم تشومسكي،2014،ص19) .

وأما تفاعل أصحاب الارادة السلطوية، هو توظيف مساهمات التقنية لخدمة مصالح خطابها الهوياتي المؤسساتي لشرعنة ماهم عليه، بتفاءل يحول الامكانيات إلى احتمالات قادرة على إحتواء التعددية التي وسعتها"الشبكة" في الميول –الاتجاه-المواقف-التصورات-الاذواق-الخدمة-الرعاية-الامن- المكانة الاجتماعية...الخ،لابقاء السيطرة والولاء.

واما تشاؤم مثقف*، يظهر في عماقة مفهوم أحادية المعيار وما ينتابه من قصور الذي ينظر به الفاعل المؤسساتي لفهم مستويين أحدهما يعيش تسارع تقاني يعزز خيارات ذوات فاعليه للمشاركة في الحياة العامة كحركات عاقة لمحاولات نمذجة صورة الواقع الفعلي بنفس المعايير، هذا التفويض الاستطرادي ناتج عن مساحات الحرية التي عززتها الافضية الافتراضية بتجاوز قيد الحق والواجب بمختلف صورهه(من منطلق ان الهوية قائمة على الحرية لانها إحساس بالذات، والذات حرة، والحرية قائمة على الهوية لإنها تعبير عنها (حسن فهمي،ص23)وأحيت ذوات فاعليه كذوات فاعلة قادرة على إكتساب وعي ذاتي قائم على إظهار هذا الوعي وهذا الذي يميز الذات الفاعلة من الأنا بل ومن الذات أيضا، تلك التي تتكون باستبطان الصور التي يكونها

* **المثقف:** صاحب رؤية ومشروع للتغير مرتبطة بمصلحة الجماهير،نائبا عنها في تورية علل البواطن.

الاخر عن الأنا، فالذات الفاعلة تكون أقوى واشد وعيا لذاتها عندما تدافع عن نفسها ضد الهجمات التي تهدد استقلاليتها(ألان تورين،2011،ص170) . وتحاول إخضاعها لواقع يعيش التزييف العمدي وتفتقد بنيته للوعي كبعد أساسي في التغيير على حد أنطونيو قرامشي.

هذا التحرر الذي صنعته إرادة التفلت من الخطاب الهوياتي للقوى والانظمة والسلطات(الفاعل المؤسساتي) التي تمنعنا أن نكون ذواتنا ومحاولاتها ردنا إلى مكونات سلطتها المتحكمة في النشاطات. فلا بد أن يعي الفاعل المؤسساتي أن التحكم في وعي الأفراد تجاوز العلة المادية إلى علة تقنية على حد راي هور كهايمر عما يتعلق بإشكالية الوعي والهوية على اعتبار "...ان حالة التسلط والهيمنة لم تعد مرتبطة بالانتاج المادي بل بتشكل الوعي الانساني على اعتبار ان التكنولوجيا لها دور في صناعة الافكار والثقافة وتؤدي السلطة ومن وراءها دور المتحكم، فقد اصبح التسلط حصيلة لعملية تشيئ اصابت الوعي الذي تحكم فيه العقل الأداتي والوظيفي... "(عبد الغاني عماد،ص39).

5. خاتمة

الفاعل المؤسساتي : ينبغي أن تنتظم أدواره على ضوء رهانات تمليها " الشبكة " من خلال فهم طبيعة الثلاثي: المؤسسة، الممارسة والعلاقات ذات البعد الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي أفرزتها ديناميات ذات العلاقة مع الاوضاع السائدة، هذا المخيال المؤسساتي يبنيه واقع يضبط سلوك الفرد ويتأطر ضمن حدود فهمه، مما يجعل الهوية المؤسساتية كتصور ومعاني يدخل الفرد في دورة أفكارها يجسدها متجاوبا بمنطق عملي هابيتوسي، أمام نضج هذه المرحلة تكون هذه البنى الشبكية والياتها كبيئة نشطة مبدأ حتمي تسمح بتطابق ثقافة واقعي/ إفتراضي يبني عليه الفرد ذهنية(عقلية) بنوع من الثقة، دون أن تستطرد معايشته الواقع الفعلي وزمانيته الآنية بنوع من القولبة وضبط للانفعالات حتى شق اللاشعور، دون مراعاة سياقات يشترطها الواقع اجتماعي بأبعاده : الواقعية – المصداقية، ضمن نسق مجتمعي مفتوح بنزعة علمية ماكروية (كيفية) دارسة لشبكة العلاقات ذات أبعاد ديناميكية يتعرض لها المجتمع سواء من حيث طرقه وأهدافه وأدواته من التفكير – العقلنة- التنظيم وكلها ضمانات متولدة من روح الحداثة.

فالفاعل لا يمكنه انتزاع المشروعية والانخراط في العمل والانتاج بشكل فعال إلا من خلال منظومة الإدراك، الاستعدادات، والتصورات المكتسبة والتي يطلق عليها بالهابيتوس والتي تصبح كـقواعد مولدة للممارسات والتي هي راس ماله الخاص من المعتقدات والخبرات والمهارات التي تمكنه من الاندماج في الحقل وتوليد الاستراتيجيات الموجهة او اتخاذ المواقف او استثمار الرهانات النوعية، وهكذا ينبغي للفاعل ان يكون على معرفة بنظام الحقل وثقافته ومعايير الممارسة فيه حتى يعترف به، فالهابيتوس هو أشبه بالعلامة الفارقة التي تتشكل منها هوية الفاعل.

6.قائمة المراجع:

1. حنفي،حسن، (2012)، الهوية: مفاهيم ثافية ،ط1،المجلس الاعلى للثقافة،القاهرة.
2. عماد ،عبد الغاني، (2001)،سوسيولوجيا الهوية:جدليات الوعي والتفكك واعادة البناء،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،2001،ص25،
3. بارني ،دارن،(2004)،المجتمع الشبكي،ترجمة: انور الجمعاوي،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.
4. نيكولاس،لومان ،(2010)،ترجمة :يوسف فهمي حجازي،مداخل الى نظرية الانساق،ط1،منشورات الجمل ،كولونيا(ألمانيا).
5. غودار،إلزا،(2019)، أنا أوسيلفي إذن أنا موجود: تحولات الأنا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، الطبعة 1، المركز الثقافي للكتاب، الدار البيضاء .المغرب.
6. غسان،خالد، (2015)،الهابيتوس،قراءة سوسيومعرفية في الاسس والمفاهيم،ط1،متدى المعارف،بيروت.
7. تورين،الان،(2011)، براديغمات جديدة لفهم عالم اليوم :جورج سليمان،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت.
8. Bernardo M . Ferdman : Literacy and culture Identity : Masahiro Minami & Bruce P. Kennedy (Editors) "Language Issues in Literacy and Bilingual Multicultural Education, Harvard Educational Review , (U S A) .

9. - Manuel Castells , The Impact of the Internet on Society: A Global Perspective, September 8, Provided by: BBVA .

10. سعدي وحيدة،ولهي حنان، التنظيمات :التحليل نسقي، مجلة دراسات وأبحاث ،(10)3.

11. - ***Natalia Levina & Manuel Arriaga: Distinction and Status Production on User-Generated Content Platforms: Using Bourdieu's Theory of Cultural Production to Understand Social Dynamics in Online Fields. Information Systems Research. Vol 25, N°(3)***.

12. تورين،الان،(2011)، براديغمات جديدة لفهم عالم اليوم :جورج سليمان،ط1،المنظمة العربية للترجمة،بيروت.